

الفصل الثالث**دور الدعاة الوقائي****في بيان أثر المحبة على الفرد و المجتمع****المبحث الأول: المستوى الفردي و الأسري****المطلب الأول : العلاقات الفردية****المطلب الثاني: العلاقات الأسرية****المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي****المطلب الأول : العلاقات الشخصية العملية****المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي و الرعية**

الفصل الثالث

دور الدعاة الوقائي

في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

الوقاية تعني الحماية وبذل ما يمكن لدفع الأذى والبعد عنه، وأصلها من (وقي) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدلُّ على دَفْعِ شيءٍ عن شيءٍ بغيره. ووقِيَتْه أقيِهَ وقِيًا. والوقاية: ما يقي الشيء. واتَّقَى الله: تَوَقَّه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية)^(١) وأورد ابن منظور في لسان العرب (وَقِيَتْ الشيءَ أَقِيَهَ إذا صُنَّتْه وسَتَرَتْه عن الأذى)^(٢) فإن ارتباط الوقاية بالخطر أو الأذى يستوجب معرفة الأخطار وأنواع الأذى التي يجب الحماية منها، وعليه يمكن للإنسان أن يعد الوسائل القوية والأساليب المانعة الواقية من بلوغ الأذى، ويحفظ البيضة من الاستباحة، والوجه من الإهانة والقلب من الزيغ والعقل من الضلالة، والمال من القلة والحال من الذلة، ومن أعظم الأخطار انفتاح بواب الشهوات والشبهات على الفرد والمجتمع مما يدمر العقيدة في القلب ويذهب العلم من العقل ويحرف الأخلاق عن الاستقامة؛ لذا فقد امتن الله على المؤمنين ببعثة الرسول الذي بين لهم الحق، قال الله تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)^(٣) قال الإمام الطبري في تفسيره: (وقوله (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ) يقول تعالى ذكره: لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم (لَعَنِتُمْ) يقول: لنالكم عنت، يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطئ في أفعاله كما لو قبل من الوليد بن عقبة قوله في بني المصطلق: إنهم قد ارتدوا، ومنعوا الصدقة، وجمعوا الجموع لغزو المسلمين، فغزاهم فقتل منهم، وأصاب من دمائهم وأموالهم، كان قد قتل، وقتلتم من لا يحلّ له ولا لكم قتله، وأخذ وأخذتم من المال ما لا يحلّ له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين، فبالكم من الله بذلك عنت (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) بالله ورسوله، فأنتم تطيعون رسول الله، وتأمنون به فيطيعكم الله بذلك من العنت ما لو لم تطيعوه وتبعوه، وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم. وقوله (وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فآمنتكم (وَكَّرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ) بالله (وَالْفُسُوقَ) يعني الكذب (وَالْعِصْيَانَ) يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله ﷺ، وتضييع ما أمر الله به (أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) يقول: هؤلاء الذين حَبَّبَ الله إليهم الإيمان، وزَيَّنَهُ في قلوبهم، وكَرَّهَ إليهم الكفر والفُسُوقَ والعِصْيَانَ

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٦، ص: ١٣١.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (وقي).

(٣) سورة الحجرات: ٧.

أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق^(١) فمن الدور الوقائي للدعاة إلى الله بيان العقيدة و حقيقة الإيمان وأثرهما في حياة وسلوك وأخلاق الفرد مما له الأثر البالغ على المجتمع، وهي مجملة في هذه الآية العظيمة (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) ويمكن إجمالاً حصر الأخطار المعنوية والمادية التي يتعرض لها الناس ويجب التحذير الوقائي منها وهي عدة أنواع:

أولاً: الحروب بما تشمله من إهلاك الأنفس والحرق والنسل، والوقاية منها يتطلب فتح باب الحوار بين الشعوب، ونشر ثقافة السلم، والحنكة السياسية، وإعداد العدة العسكرية والقوة المعنوية لصد كل معتد ومحارب وهي واقع لا بد منه، ووسيلة من سنن المدافعة. وكل ذلك محبة للعيش الكريم.

ثانياً: الأمراض البدنية والنفسية، ويتطلب للوقاية منها إعداد الدراسات الطبية الخاصة بتحليل طبيعة الأمراض وتحصين الناس بإعداد الأمصال والأدوية الوقائية منها بإذن الله، وإشاعة الثقافة الطبية لحماية المجتمع والبيئة من كافة الأمراض. وكل ذلك محبة للصحة والعافية والحياة الهانئة.

ثالثاً: العقائد الضالة والأفكار الخاطئة، ويتطلب للوقاية منها، نشر العلم القائم على الدليل الشرعي، والثقافة النقية، وترسيخ العقيدة الصحيحة، وإقامة مراكز للدراسات العلمية والفكرية ومراكز للدراسات الاجتماعية والإحصائية، والربط بين تلك المراكز في تحقيق الوقاية من مصادر العقائد الباطلة والأفكار الضالة، حسب نتائج المراكز التي تحدد مصادر الخطر ومساحة امتداده ليتم بموجبها إعداد البرامج الإعلامية والعلمية الوقائية. وكل ذلك محبة في الحق ودفاعاً عنه، ولكي يعيش المسلم حقيقة الحياة ويفهم الغاية من الوجود وهي عبادة الله الواحد الأحد، الحي القيوم، ويعبده بما شرع ويدعو إلى عبادته.

رابعاً: الأخلاق الفاسدة والسلوك المعوج، وهي نتيجة سلبية لعوامل التأثير والتأثر وضعف التربية الأسرية والمدرسية، ويتطلب للوقاية منها، إعادة النظر في أوضاع الأسرة في المجتمع ومناهج التربية في المدارس ووسائل الاتصال ومواد الإعلام، وبموجب ذلك يتم وضع الدراسات والخطط والبرامج الكفيلة بمحاصرة الانحراف الأخلاقي والسلوكي، وإن لم تتم إزالته وهو الغالب، فيمكن إضعاف قوته، وتخفيف نسبته. محبة في الحفاظ على الدين والعقل والعرض من الانحراف.

وعند النظر بعين التحليل للأسباب والمسببات والنتائج السلبية والإيجابية، للأخطار المحدقة بالفرد والأسرة والمجتمع، نجد أن المحبة عامل فاعل في الأسباب الإنمائية والعلاجية والوقائية، وهنا في هذا الفصل، يهمننا هذا العامل كسبب وقائي، حيث الحب أو المحبة قيمة جميلة وصفة محمودة بين الناس في أغلب معانها، وقد تنحرف بصاحبها إلى مواطن محظورة وخطرة؛ لذا حد الإسلام فيها حدوداً، تلازم معها أحكام في الدنيا والآخرة، وللدعاة إلى الله دور في الوقاية من هذا الانحراف على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وهو ما أبينه هنا في هذا الفصل وفق أبرز العلاقات على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي، كما يلي:

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية: علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت

: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٢، ص: ٢٩٠.

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية: علاقة الزوجين وعلاقة القرابة

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية: علاقة العمل الداخلية و علاقة العمل الخارجية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية^(١): العلاقة النظامية و العلاقة الإنسانية

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية: علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة

أولاً: علاقة الصداقة

(١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة الصداقة

أصل الاعتدال في علاقة الصداقة هو محبة الحق من الصديقين أو الأصدقاء، وميزان الحق في كل شيء يختلف عليه العقول وتتفق، وتجتمع عليه القلوب وتختلف، وتبقى الصداقة ما بقي الاتفاق على الحق في الشيء، وبدونه إما تنقطع لعدم الوفاق، أو تزيد قوة على باطل، والحق واضح جلي، تتوافق عليه الفطرة السليمة والعقول المستقيمة، ويجتمع عليه الناس ولا يختلفون، قال الله تعالى: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ)^(٢) قال ابن كثير في تفسيره: (ذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله، بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن: (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي: حسَّنوا لهم أعمالهم في الماضي، وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين)^(٣) وأصل الاعتدال للمحبة بين الأصدقاء أن تبنى على الحق بما جاء عن الله ورسوله ﷺ. وأن تكون دون إغراق ، ميزان المحبة والبغض كما رآه السلف (عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال لي عمر بن الخطاب ؓ : يا أسلم لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إذا أحببت ، فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء ، يحبه ، وإذا أبغضت ، فلا تبغض بغضاً تحبُّ أن يتلفَ صاحبك ويهلك. وقال الحسن : أحبوا هوناً ، وأبغضوا هوناً ، فقد أفرط أقوام في حب أقوام ، فهلكوا ، وأفرط أقوام في بغض أقوام فهلكوا. قال علي رضي الله عنه : أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما. ورفعه بعضهم عن علي وعن أبي هريرة ، والصحيح أنه موقوف على علي رضي الله

(١) هي التي تستوجب المسؤولية في الرعاية بدءاً من صاحب الولاية العظمى في المجتمع ومن تحته، كل في مسؤوليته وحكمه أي علاقة الحاكم والمحكوم على العموم.

(٢) سورة فصلت: ٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٧ ، ص: ١٧٤.

عنه^(١) فمن دور الدعاة الوقائي أن يبينوا هذا الأصل سياج حماية للصدقة بين الأصدقاء؛ من الانحراف في المجتمع المسلم . وهذا الانحراف يمثل الانغماس في محبة الباطل شهوة، أو الغلو في الحق محبة، والزيف عنه شبهة . وكلاهما ينطلق من المحبة التي تبني عليها الصدقة .

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الصدقة

إن عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الصدقة، تعني سبل المحافظة على ميزان الاعتدال فيها وهو محبة الحق، لأن غيره يقود إلى ساعة الندم في الدنيا وساعة الحسرة والخسارة في الآخرة، قال الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ)^(٢) فإن الصدقة المتوافقة على الحق يزداد أصحابها محبة وسعادة بهذه العلاقة في الدنيا، وترتقي بهم في درجات الجنة في الآخرة فإن المرء مع من أحب^(٣)، وللدعاة إلى الله دور في صيانة المحبة من الانحراف، ومنها بيان ما يجب أن يؤديه الصديق في حق صديقه، قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ جَادَ لَكَ بِمَوَدَّتِهِ، فَقَدْ جَعَلَكَ عَدِيلَ نَفْسِهِ. فَأَوَّلُ حُقُوقِهِ اعْتِقَادُ مَوَدَّتِهِ ثُمَّ إِنْسَافُهُ بِالْإِنْسِافِ إِلَيْهِ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، ثُمَّ نُصْحُهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، ثُمَّ تَخْفِيفُ الْأَثْقَالِ عَنْهُ، ثُمَّ مُعَاوَنَتُهُ فِيمَا يَنْبُوهُ مِنْ حَادِثَةٍ، أَوْ يَنْأَلُهُ مِنْ نَكْبَةٍ. فَإِنَّ مُرَاقَبَتَهُ فِي الظَّاهِرِ نِفَاقٌ، وَتَرْكُهُ فِي الشَّدَّةِ لُؤْمٌ)^(٤) ومن القواعد المبنية على التجارب، وتكرر نقلها من أهل الأدب، أن صاحبك من يعينك في النوائب، ففي الحياة ما أكثر الأصحاب حين تعدهم ولكن في النائبات قليل؛ لأن حقيقة الصديق أنه الذي إذا ذكرت أعانك ووأساك، وخير منه من إذا نسيت ذكرك، والمحبة بين الأصدقاء في الحق، تصل إلى التضحية والإيثار على النفس، ووقاية يجب على الصديق ألا يجرح صديقه في سلوك أو خلق، وألا يجرح صديقه بموقف أو حدث، بل عليه أن يكون به رفيقا، حفاظا على مودته، وهكذا مضى السلف في صداقتهم، وتصافت قلوبهم على الحق، عن أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أبيه، أنه قال: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصْبِحُ جُنْبًا، ثُمَّ يَغْتَسِلُ، ثُمَّ يَخْبِرُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، ثُمَّ يَصُومُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَأَخْبَرْتُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ بِقَوْلِهَا، فَقَالَ لِي: أَخْبِرْ

(١) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، دمشق: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ — ، ط ٢، ج ١٣، ص: ٦٥ - ٦٦ .

(٢) سورة فصلت: ٢٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب علامة حب الله عز وجل، حديث رقم: ٦١٦٨ (٣٩/٨). وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب المرء مع من أحب، حديث رقم: ٦٨٨٨ (٤٣/٨).

(٤) - أدب الدنيا والدين، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، القاهرة: دار الفكر للنشر، ص: ١٧٦ - ١٧٧ .

أَبَا هُرَيْرَةَ بِقَوْلِ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ لِي صَدِيقٌ، فَأُحِبُّ أَنْ تُعْفِيَنِي، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا انْطَلَقْتَ إِلَيْهِ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَهُوَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِهَا، فَقَالَ: عَائِشَةُ إِذْنُ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

أما الصداقة بين الجنسين - الذكر والأنثى - في سن التكليف، فليس لها في الإسلام أصل إلا ما قام على الزواج الشرعي ولا يسمى صداقة، بل يسمى زواجا، والزواج مقام المدح والندب والوجوب، أما الصداقة قبل الزواج فهي من المنهيات في الإسلام وعدت في المروءة أنها من ذوات الخوارم في الصفات والعادات والتقاليد، وعدت في الإسلام ذات حرمة في الدين لما تفضي إليه من سوء العاقبة من الزنا وغيره من الآثام المنصوص عليها في الكتاب والسنة، ولا تسمى في الإسلام صداقة بين الجنسين، وإن أطلق عليها في الزمن المعاصر هذا المصطلح بسبب الآثار الإعلامية وأثر الاحتكاك بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية، التي تعيش على أصل الحب قبل الزواج والتجربة الزوجية قبل عقد قران الزوجين، وهذا محرم في الإسلام، فيجب على الدعاة إلى الله تبصير الناس بخطر العلاقات المحرمة باسم الصداقة، سواء كان بين الجنس الواحد أو الجنسين، والتحذير من عواقب الهوى الذي تغنى به الشعراء قديما وحديثا، قال المتنبي^(٢):

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي *** وَأَقْتَلَهُمُ لِلدَّارِعِينَ بِلا حَرْبٍ
تَفَرَّدَ فِي الْأَحْكَامِ فِي أَهْلِهِ الْهَوَى *** فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكُذْبِ
وَإِنِّي لَمَنْوَعُ الْمَقَاتِلِ فِي الْوَعَى *** وَإِنْ كُنْتُ مَبْدُولَ الْمَقَاتِلِ فِي الْحَبِّ

فإن العلاقة بين الجنسين القائمة على الحب المنحرف، ذات خطورة على الفرد والمجتمع، والتحذير من ذلك هو الدور المناط بالدعاة إلى الله، الذي يعد من أهم سبل الوقاية في الحماية من هذا الخطر، ويتمثل دورهم الفعلي عن طريق المواعظ والخطب والبحوث العلمية، ووسائل الإعلام المختلفة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، استجابة لقول الله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ^(٣).

قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ } أي: منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعني: المجاهدين والعلماء. وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند باقي الأنصار - حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٤٦٨١ (٢١٥/٤١). تعليق

شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) دايون أبي الطيب التنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبط: مصطفى السقا وآخرون، بيروت: دار المعرفة، ج ١، ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٤.

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ { ثم قال: "الْخَيْرُ اتِّبَاعُ الْقُرْآنِ وَسُنَنِي" رواه ابن مردويه. والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه^(١)

ثانيا: علاقة الجيرة

(١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة الجيرة

أصل الاعتدال في علاقة الجيرة هو محبة الإحسان إلى الجار، وحين يلتقي الجاران أو الجيران على هذه الصفة، فإن جميع الحقوق بينهما لسوف تحفظ، وإن قصرت عن الإحسان؛ فقد تدخل إلى باب الإساءة، وهذا خلل في ميزان الاعتدال - محبة الجار الإحسان لجاره - وإن حقوق بيته أو محله، من أشرف ما يجب الحفاظ عليه، وبيت الجار للجار مكشوف الحال، ولا يجوز دخوله إلا بإذنه والسلام على أهله، قال الله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٢) قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره للآية: (قوله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا) لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذي كرمه وفضله بالمنازل وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو يلجوها من غير إذن أربابها، أدبهم بما يرجع إلى الستر عليهم لئلا يطلع أحد منهم على عورة. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: (من اطلع في بيت قوم من غير إذنه حل لهم أن يفتقوا عينه)^(٣) وقد اختلف في تأويله، فقال بعض العلماء: ليس هذا على ظاهره، إن فقا فعليه الضمان، والخبر منسوخ، وكان قبل نزول قوله تعالى: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا" [النحل: ١٢٦] ويحتمل أن يكون خرج على وجه الوعيد لا على وجه الحتم، والخبر إذا كان مخالفا لكتاب الله تعالى لا يجوز العمل به. وقد كان النبي ﷺ يتكلم بالكلام في الظاهر وهو يريد شيئا آخر، كما جاء في الخبر أن عباس بن مرداس لما مدحه قال لبلال: (قم فاقطع لسانه)^(٤) وإنما أراد بذلك أن يدفع إليه شيئا، ولم يرد به القطع في الحقيقة. وكذلك هذا يحتمل أن يكون ذكر فقء العين والمراد أن يعمل به عمل حتى لا ينظر بعد ذلك في بيت غيره. وقال بعضهم: لا ضمان عليه ولا قصاص، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى^(٥) وصورة الاستئذان، السلام ثم طلب الإذن، روى أبو داود عن ربعي

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص: ٩١.

(٢) سورة النور: ٢٧.

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الآداب - باب تحريم النظر في بيت غيره حديث رقم: ٥٧٦٨ (١٨١/٦).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٧٣/٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٥، ص: ١٦٠ - ١٦١.

قال: حدثنا رجل من بني عامر استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت، فقال: أَلج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: (أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان - فقال له - قل السلام عليكم أَدْخِل) فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أَدْخِل؟ فأذن له النبي ﷺ وَسَلَّم فَدَخِل^(١) فمن واجب الدعاة أن يبنوا أصل الاعتدال في علاقة الجيرة من الإحسان والاستئذان كي تبقى المحبة هي السائدة بينهم.

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الجيرة

إن عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الجيرة، تعني سبل المحافظة على ميزان الاعتدال فيها وهو الإحسان إلى الجار، و يظهر هذا في الزيارات المتبادلة بين الجيران، وإطعام الطعام بينهم، وتحسس كل منهم حاجة الآخر لمساعدته. والحفاظ على سره في غير ضرر منه، و مناصحته، وغض البصر عن محارمه، قال الله عز وجل: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) ٢٤ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ^(٢) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدَاءً وَهُوَ خَلْقَكَ. قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعْظِيمٌ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ^(٣). ورد عند ابن بطال في شرح البخاري: (وإنما عظم الزنا بحليلة الجار، وإن كان الزنا عظيمًا؛ لأن الجار له من الحرمة والحق ما ليس لغيره، فمن لم يراعِ حق الجوار فذنبه مضاعف؛ لجمعه بين الزنا وبين خيانة الجار الذي وصى الله تعالى بحفظه^(٤)) ومن دور الدعاة إلى الله أن يبينوا الوسائل الوقائية من ضعف علاقة الجيرة بين الناس، ويحذروا من خطر انتهاك حرمة الجار، مفصلين الدروس والعبر والأحكام، ومستبدلين بالنصوص الشرعية في حق الجار على الجار، مثل هذا الحديث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قَالُوا: وَمَنْ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: شَرُّهُ^(٥)).

(١) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب كيف الاستئذان، حديث رقم: ٥١٧٩ (٤/٥١٠).

(٢) سورة النور: ٣٠ - ٣١.

(٣) انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة البقرة - باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) حديث رقم: ٤٤٧٧ (٦/١٨)، وانظر صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده حديث رقم: ٢٦٧ (١/٦٣).

(٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٨، ص: ٤٣٠.

(٥) انظر مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه حديث رقم: ٨٤٣٢ (١٤/١٥٣). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية: علاقة الزوجين وعلاقة القرابة

أولاً: علاقة الزوجين

١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة الزوجين

أصل الاعتدال للمحبة بين الزوجين يكون في تحقيق المصلحة للطرفين، ورفع الضرر عنهما، حيث يقوم الحب بين الزوجين على الحاجات الفطرية من المتعة وما ينتج عنها من مصلحة الأولاد والمودة والسكن وسائر المنافع، وللحفاظ على ميزان الاعتدال في تحقيق هذه المنافع وجب أن يدفع المضرة كل منهما عن الآخر، وأجل المصالح تحقيق العبودية لله تعالى وأعظم المضار الصرف عن تحقيق أوامر رب العالمين، قال الله عز وجل : (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(١) قال ابن كثير في تفسيره: (وقال مجاهد: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ} قال: يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه)^(٢) وحيث هذا من المضار التي تقف حائلاً عن تحقيق مقاصد الدين، وجب على الدعاة إلى الله بيان أصل الاعتدال في علاقة الزوجين بما يحقق المحبة ويحافظ عليها، وأن يبينوا أيضاً أن من عدّد الزوجات وجب عليه أن يضيف عليه حق العدل بينهما، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا وَقَالَ « إِنَّهُ لَيْسَ بِكَ عَلَى أَهْلِكَ هَوَانٌ إِنْ شِئْتَ سَبَعْتُ لَكَ وَإِنْ سَبَعْتُ لَكَ سَبَعْتُ لِنِسَائِي »^(٣). أورد النووي في شرحه لصحيح مسلم: (وفي هذا الحديث استحباب ملاطفة الأهل والعيال وغيرهم وتقريب الحق من فهم المخاطب ليرجع إليه، وفيه العدل بين الزوجات، وفيه أن حق الزفاف ثابت للمزفوفة وتقدم به على غيرها، فإن كانت بكراً كان لها سبع ليال بآيامها بلا قضاء، وإن كانت ثيباً كان لها الخياران شاءت سبعا ويقضى السبع لباقي النساء، وإن شاءت ثلاثاً ولا يقضى هذا مذهب الشافعي و موافقيه وهو الذي ثبتت فيه هذه الأحاديث الصحيحة ومن قال به مالك وأحمد)^(٤)

(١) سورة المنتحنة: ١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص: ١٣٩.

(٣) انظر صحيح مسلم- كتاب الرضاع- باب قدر ما تستحقه البكر والثيب من إقامة الزوج عندها عقب الزفاف حديث رقم: ٣٦٩٤ (٤/١٧٢).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٠، ص: ٤٤.

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الزوجين

عندما تتهز العلاقة بين الزوجين وتضطرب المحبة بينهما، يتبع ذلك ضياع لكثير من المصالح الخاصة بينهما، ومصالح غيرهما من الأولاد وسائر المجتمع، وأولها الانصراف إلى فاحشة الزنا قال الله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ^(١) ومن عظيم الأضرار أيضا، تشويه السمعة والطعن في الكرامة، فإن احتواء المشاكل الزوجية والسرية في أمرها من أهم عوامل الوقاية عند انحراف المحبة في علاقة الزوجين، ولا بد للزوجين من الصبر والمصابرة على ما يحدث من خلل لا تخلو منه طبيعة الحياة الزوجية، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ. قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ. ^(٢) وهذا الحديث له مفهوم شرعي خاص تكلم فيه العلماء في محله، بما يسكت من استغله في التحقير من شأن المرأة، وغاية الحديث الموعظة والحث على المحافظة على حسن العلاقة بين الزوجين، فكما للرجل من فضل ومحامد فإن للزوجة مكارم ومحامد، ولكن الحديث جرى مجرى النفع من الموعظة بما يحفظ المحبة والمودة بين الزوجين، ويثبت فضل الرجل بما منحه الله من رجحان العقل على العاطفة وما له من فضل النفقة والرعاية، وبما رحم الله به الرجل بما منح المرأة من رجحان العاطفة على العقل ليحصل التكامل بين الزوجين خاصة وفي الحياة عامة، ومتى شكرت المرأة زوجها على إحسانه زادها بعقله إحسانا ومتى كفرت المرأة فضل زوجها وأنكرت إحسانه ضعفت المحبة بينهما ولم ترض ربها. ومن بيت النبوة مشهد تاريخي غني بالدروس والعبر، من أعظمها، عظيم حلمه وحكمته ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حَزْبَيْنِ: فَحَزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسُودَةُ، وَالْحَزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْرَجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ. فَكَلَّمَ حَزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهَا إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِيهِ، قَالَتْ: فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا. فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا. فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ. فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا: لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ. قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ. فَكَلَّمَتْهُ

(١) سورة يوسف: ٣٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - كفران العشير وكفر دون كفر، حديث رقم: ٢٩ (١٥/١).

فقال: يا بُنَيَّةُ، ألا تُحَيِّينَ ما أَحَبُّ ؟ قالت: بلى. فرجعتُ إليهنَّ فأخبرتهنَّ، فقلنَ ارجعي إليه، فأبتُ أنْ تَرْجِعَ. فَأَرْسَلَنَ زَيْنَبَ بِنْتَ بَنْتِ جَحْشٍ، فَأَتَتْهُ فَأَغْلَطَتْ وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاولَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلِّمُ، قَالَ: فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تُرَدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَنَتْهَا. قَالَتْ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ: إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ^(١). فمن واجب الدعاة إلى الله بيان عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة الزوجين ومن أهمها: الحث على أداء الحقوق الزوجية. ومقام السرية في علاقة الزوجين وأثره في حفظ الكرامة. وكذلك الصبر والشكر وأثرهما في تثبيت العلاقة على المحبة، وأن الإحسان منبع الحب. والعقل والعاطفة صنوان في بيت الزوجية، كل في موضعه المناسب، وبهما تصان العلاقة الزوجية من التصدع والانشقاق. وأن الأولاد الجامع المشترك بين الزوجين، بهم الاجتماع في الصغر على الرحمة والمحبة، وبهم الاجتماع في الكبر على النصيحة والمحبة. وأنه على الزوجين الحذر من العلاقات الخارجة عن نطاق الأسرة وتدخلها في شؤونها وكذلك من دخولها عليها، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « يَا كُفْرُ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمُوَ، قَالَ « الْحَمُوُ الْمَوْتُ »^(٢). أورد ابن بطال في شرحه: (قال الطبري: الحمى عند العرب كل من كان من قبل الزوج أخاً كان أو أباً أو عمّاً فهم الأعمام، فأما أم الزوج، فكان الأصمعي يقول: هي حماة الرجل، لا يجوز غير ذلك، ولا لغة فيها غيرها، وإنما عني بقوله: الحمى الموت، أن خلوة الحمى بامرأة أخيه أو امرأة ابن أخيه بمثابة الموت في مكروه خلوته بها، وكذلك تقول العرب إذا وصفوا الشيء يكرهونه إلى الموصوف له، قالوا: ما هو إلا الموت)^(٣). وقد تعدى الأمر الشرعي في الوقاية للأعراض مقام الحياة بين الزوجين إلى مقام وفاة الزوج وصيانة عرضه ونسله بعد مماته؛ فأوجب العدة على المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، كي يظهر الحمل، وتطيب النفس من ألم الفراق، وكذلك حفظ بيت الزوجية وجعل مكث الزوجة في عدتها فيه، عَنْ زَيْنَبَ^(٤) بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ (وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ)، أَنَّ أُخْتَهُ الْفَرِيعَةَ بِنْتَ مَالِكٍ، قَالَتْ: خَرَجَ زَوْجِي فِي

(١) انظر صحيح البخاري- كتاب الهبة وفضلها وتحريض عليها- باب من أهدى إلى صاحبه وتحوى بعض نسائه دون بعض حديث رقم: ٢٦٢٠ (١٥٧/٣).

(٢) انظر صحيح البخاري- كتاب النكاح- باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة حديث رقم: ٥٢٣٢ (٣٧/٧)، وانظر صحيح مسلم- كتاب السلام- باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها حديث رقم: ٥٨٠٣ (٧/٧).

(٣) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٧، ص: ٣٥٩.

(٤) زينب بنت كعب بن عجرة صحابية تزوجها أبو سعيد الخدري كذا في التجريد من زيادته وكان سلفه فيه أبو إسحاق بن الأمين فإنه ذكرها في ذيله على الاستيعاب وكذا ذكرها بن فتحون وذكرها غيرهما في التابعين وروايتها عن زوجها أبي سعيد وأخته الفريعة في السنن الأربعة ومسنند أحمد روى عنها ابنا أخويها سعد بن إسحاق وسليمان بن محمد ابنا كعب بن عجرة وذكرها بن حبان في الثقات. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦٧٩/٧).

طَلَبَ أَعْلَاجَ لَهُ. فَأَذْرَكَهُمْ بِطَرْفِ الْقُدُومِ. فَفَقَتَلُوهُ. فَجَاءَ نَعْيُ زَوْجِي وَأَنَا فِي دَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ. شَاسِعَةً عَنْ دَارِ أَهْلِي. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ جَاءَ نَعْيُ زَوْجِي وَأَنَا فِي دَارٍ شَاسِعَةٍ عَنْ دَارِ أَهْلِي وَدَارِ أَخَوَتِي. وَلَمْ يَدْعُ مَالًا يُنْفِقُ عَلَيَّ، وَلَا مَالًا وَرَثَتُهُ. وَلَا دَارًا يَمْلِكُهَا. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَلْحَقَ بِدَارِ أَهْلِي وَدَارِ إِخْوَتِي فَإِنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَأَجْمَعُ لِي فِي بَعْضِ أَمْرِي. قَالَ: «فَأَفْعَلِي إِنْ شِئْتَ» قَالَتْ، فَخَرَجْتُ قَرِيرَةً عَيْنِي لِمَا قَضَى اللَّهُ لِي عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ. حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، أَوْ فِي بَعْضِ الْحُجْرَةِ دَعَانِي فَقَالَ: «كَيْفَ زَعَمْتَ؟» قَالَتْ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: «أَمْكُثِي فِي بَيْتِكَ الَّذِي جَاءَ فِيهِ نَعْيُ زَوْجِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ» قَالَتْ: فَأَعْتَدْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.^(١)

ثانيا: علاقة القرابة

١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة القرابة

أصل الاعتدال للمحبة في علاقة القرابة الصلة بالقول الجميل والصبر الجميل والصفح الجميل ومجمع ذلك كله الإحسان، رد الجميل للوالدين إحسانا ورحما ورحمة، وحفظ حق ماء النسب بذوي القرابة إحسانا ورحما ورحمة، فمن واجب الدعاة إلى الله التبصير بما يحفظ المحبة بين ذوي القرابة من بيان هذا الأصل بالدليل الشرعي المبين، وضرب الأمثلة عليه من قصص الأنبياء والصالحين الثابتة في القرآن والسنة، كيف يعين الابن أبيه وكيف يتم إحسان الأخ لأخيه، ولكل قرابة مثل في الإحسان، ومكافأة الجميل بالجميل لا تأتي إلا بالجميل، ومن ذلك موقف إبراهيم عليه السلام من ابنه وأبيه، وموقف إسماعيل عليه السلام مع أبيه، قال الله عز وجل: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)^(٢) وعندما رأى إبراهيم في الرؤيا أنه يذبح ابنه ورؤيا الأنبياء حق، ماذا قال الابن، قال الله تعالى في حقه: (قَالَ يَتَابِتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)^(٣) ومن مواقف الأخوة، موقف موسى عليه السلام من أخيه هارون في دعائه، قال الله تعالى: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ۖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۖ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۖ هَارُونَ أَخِي ۖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)^(٤) قال الطبري في تفسيره: (وقوله (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) يقول: واجعله نبيا مثل ما جعلتني نبيا، وأرسله معي إلى فرعون (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا) يقول: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيرا(وَلَذِكْرُكَ كَثِيرًا) فنحمدك(إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) يقول: إنك

(١) انظر سنن ابن ماجه - كتاب الطلاق - باب أين تعتد المتوفى عنها زوجها، حديث رقم: ٢٠٣١ (١٩٠/٣). صححه الألباني .

(٢) سورة البقرة: ١٢٧ .

(٣) سورة الصافات: ١٠٢ .

(٤) سورة طه: ٣٢ .

كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شيء (١) وحمد النبي ﷺ القرابة على تعاونهم في السفر والحضر، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنْاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ (٢). قال ابن حجر في الفتح: (قوله إذا أرملوا أي في زادهم وأصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل من القلة، كما قيل في ذا متربة قوله فهم مني وأنا منهم أي هم متصلون بي وتسمى من هذه الاتصالية كقوله (لست من دد) (٣) وقيل المراد فعلوا فعلي في هذه المواساة وقال النووي معناه المبالغة في اتحاد طريقهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى، وفي الحديث فضيلة عظيمة للأشعرين قبيلة أبي موسى وتحديث الرجل بمناقبه، وجواز هبة المجهول، وفضيلة الإيثار والمواساة، واستحباب خلط الزاد في السفر وفي الإقامة أيضا والله أعلم (٤)

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة القرابة

إن عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة القرابة، هي السبل التي يجب أن تتبع للحد من قطيعة الرحم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا) (٥). وقال العلماء من الحكمة في النهي عن الجمع بين الزوجة وعمتها أو خالتها في النكاح حتى لا تقطع الرحم؛ بسبب ما يصير بين الضرائر. وهذه حكمة الشريعة في كل الأحكام، ومن دور الدعاة إلى الله البيان الشامل لحقوق القرابة بجميع أوجه الإحسان من النفقة والهدية والهبة والزيارة، ومراعاة الحال والمساعدة والدعاء، ويتحقق ذلك في صلة القرابة بجميل الإحسان من الصبر والصفح والنصح، واحتساب الأجر في فضل صلة الرحم وطلب بركتها، ورد عند ابن تيمية يرحمه الله قوله: (رأى الفضيل بن عياض رجلا يشكو إلى رجل، فقال: يا هذا أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك، وقال بعضهم ذكر الله الصبر

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٨، ص: ٣٠١.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب الشركة- باب الشركة في الطعام والنهد والعروض وكيف قسمة ما يكال ويوزن مجازفة أو قبضة قبضة حديث رقم: ٢٥٢٧. وانظر: صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب من فضائل الأشعرين رضي الله عنهم، حديث رقم: ٦٥٦٤ (١٧١/٧).

(٣) قال غير واحد من أهل اللغة: هو مؤضع. وقال غيرهم كما عند الأزهري في تهذيب اللغة: الدد اللهو واللعب، وهو جزء من حديث: ما أنا من دد ولا الدد مني، ينظر (١٥٧/١٤).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ٥، ص: ١٣٠.

(٥) انظر: صحيح البخاري- كتاب النكاح- باب لا تنكح المرأة على عمتها، حديث رقم: ٥١٠٩ (١٢/٧). وانظر: صحيح مسلم- كتاب النكاح- باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، حديث رقم: ٣٥٠٢ (١٣٥/٤).

الجميل و الصفح الجميل و الهجر الجميل، فالصبر الجميل الذي ليس فيه شكوى إلى المخلوق، و الهجر الجميل الذي ليس فيه أذى، والصفح الجميل الذي ليس فيه عتاب (١) وقال الله تعالى: (وَأَتَدَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) (٢) وقال الله تعالى: (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) (٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (٤) فَكُ رَقِيبٌ (٥) أَوْ إِنْ طَعِمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (٦) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (٧) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (٨) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (٩) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْإِيمَانِ (١٠) هذه الأدلة وغيرها كثير، هي من سبل الهداية إلى أداء المحبة الواجبة لذوي القرابة، وفهمها والعمل بها وهي من السبل الواقية من انحراف المحبة في حقهم، ومما يعلم أن حب القرابة من الفتنة حين الانحراف، ومن شكر النعمة حين الابتلاء والاعتراف، أورد ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَدَّثَ النَّبِيُّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ حُذِيفَةُ: أَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ)، قَالَ: لَيْسَ أَسْأَلُ عَنْ ذِهِ، إِنَّمَا أَسْأَلُ عَنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ... الحديث (٤). الفتنة عند العرب: الابتلاء والاختبار، وهي في هذا الحديث شدة حب الرجل لأهله، وشغفه بهم، كما روى عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُخْطِبُ، فِجَاءَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَيَرُلُ رَسُولُ اللَّهِ فَرَفَعَهُمَا وَوَضَعَهُمَا فِي حَجَرِهِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) (٥) رَأَيْتُ هَذِينَ فَلَمْ أَصْبِرْ، ثُمَّ أَخَذَ فَقَالَ لَهُ: أَتَدْعُو اللَّهَ أَلَّا يَرْزُقَكَ مَا لَا وَوَلَدًا! فَاسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنْ مَضَلَاتِ الْفِتَنِ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَقِلُّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) (٦) فَأَيْكُمْ اسْتِعَاذَ فَلَيْسَتْ بِاللَّهِ مِنْ مَضَلَاتِ الْفِتَنِ) (٧) وهنا أمر غفل عنه الكثير من الناس في هذا العصر، ومن واجب الدعاة بيانه، ألا وهو الحصانة ولزوم السنة في إدارة محاور الكلام على الطريقة التي تدفع الغيبة والنميمة واللعن والسباب، فإن هذا الأمر مركز في الوفاق والشقاق بين الأقارب خاصة لكثرة اللقاءات بينهم، ومن توجيهات السنة في ذلك، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد علي عجال، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ط ١، ١٤١٧هـ، ج ١، ص: ٤٠٠.

(٢) سورة الإسراء: ٢٦.

(٣) سورة البلد: ١١ - ١٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري- كتاب الصوم- باب الصوم كفارة، حديث رقم: ١٨٩٥ (٢٥/٣).

(٥) سورة التغابن: ١٥.

(٦) سورة التغابن: ١٥.

(٧) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض:

مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٧، ص: ١٠.

فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ^(١) وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِي بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِي، وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِمَّا الْخَمْسَةَ وَالسَّتَّةَ وَالسَّبْعَةَ، فَدَارَتْ عَقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ فَأَنَاحَهُ فَرَكَبَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ، فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ^(٢) فَقَالَ لَهُ شَأْنُ لَعْنِكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مِنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرُهُ ». قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « انْزِلْ عَنْهُ فَلَا تَصْحَبْنَا بِمُلْعُونٍ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عِطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ »^(٣).

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

أولاً: علاقة العمل الداخلية

١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة العمل الداخلية

أصل الاعتدال للمحبة في علاقة العمل الداخلية هو لوائح وأنظمة العمل، حيث هي المنظمة لشؤون العمل والعاملين وتقوم على العقد، والعقد شريعة المتعاقدين إذا توافق مع مقاصد شريعة الدين، والشريعة تحفظ لكل عامل حقه المالي من الأجر وحقه الإنساني في التعامل، وتعطي لصاحب العمل حقه بضمان اتقان العامل للعمل، ومحاسبته على التفريط، وتصفو العلاقة الداخلية في ميدان العمل بالحببة القائمة على العدل والإنصاف، ومن عقود العمل في القرآن الكريم، ما ذكره الله تعالى في حق موسى عليه السلام وصاحب مدين، قال الله تعالى: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتَفْجَرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَفْجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ^(١)) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَنتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ^(٢)) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ^(٣)) فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ^(٤)) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي معلقاً على علاقة العمل بين صاحب مدين وموسى عليه السلام: ({ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ } فأحتم عشر السنين، أو ما أريد أن أستأجرك لأكلفك أعمالاً شاقة، وإنما استأجرك لعمل سهل يسير لا مشقة فيه { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ }

(١) بواط : هو جبل من جبال جهينة، بناحية رضوى غزاه النبي ﷺ في شهر ربيع الأول في السنة الثانية من الهجرة يريد قريشا ورجع ولم يلق كيدا. انظر : مجم البلدان لياقوت الحموي (١/٥٠٣).

(٢) (لَدُن) اللام والنون كلمة واحدة. يقال لِلَّيْنِ مِنَ الْقَضِيَانِ لَدُنَّ. وَلَدُنْ بمعنى لَدَى، أي عِنْدَ. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٣/٥). التَّلَدُّنُ التَّمَكُّثُ معنى قوله تَلَدَّنَ أَي تَلَكَّأَ وَتَمَكَّثَ وَتَلَبَّثَ وَلَمْ يَغْرُ وَلَمْ يَبْعَثْ يَقَالُ تَلَدَّنَ عَلَيْهِ إِذَا تَلَكَّأَ عَلَيْهِ. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٨٣/١٣).

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفائق - باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، حديث رقم: ٧٧٠٥ (٨/٢٣٢).

(٤) سورة القصص: ٢٦ - ٢٩.

فرغبه في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره. فـ {قَالَ} موسى عليه السلام - مجيباً له فيما طلبه منه-: {ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ} أي: هذا الشرط، الذي أنت ذكرت، رضيت به، وقد تم فيما بيني وبينك. {أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قُضِيَتْ فَلَا عُذْوَانَ عَلَيَّ} سواء قضيت الثماني الواجبة، أم تبرعت بالزائد عليها {وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدا عليه ^(١)

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة العمل الداخلية

إن محبة العامل لعمله وإتقانه له، محور في جودة المنتج، وإن الراحة النفسية للعاملين ومحبة بعضهم لبعض والقيام بدور التكامل الإيجابي بينهم، مؤثر في محبة العامل لعمله. فيجب دراسة اللوائح والأنظمة قبل تشريعها في أي عمل منظم، لتضمن هذا الأس في أنظمتها، وإن طرحت للتجربة مدة ومن ثم تقرير نتائجها يكون ذلك من عوامل النجاح فيها، حيث أن السبل الوقائية من انحراف المحبة في علاقة العمل الداخلية، تتركز في الدراسة المستمرة لتطوير عوامل نجاح العمل من خلال ملاحظات الواقع ومتابعة سير الأعمال، ومن واجب الدعاة بيان أثر المحبة في سبل الوقاية من انحراف علاقة العمل الداخلية بإعطاء العمال حقوقهم، وتوزيع العمل بمقتضيات قدرتهم، وتلخص ذلك في عدة نقاط: ١) التأكيد على أداء الواجبات قبل المطالبة بالحقوق فالعمل في الإسلام واجب وعبادة، وهناك من يوصله إلى درجة الفريضة التي يحاسب الإنسان على تركها ويثاب على القيام بها. وكل عمل يقوم على عقد يكون بين طرفين أو أكثر. ٢) وكل عقد له أركانه وصيغته، وينبغي أن تتوفر فيه الشروط الشرعية والنظامية، حتى يكون العقد صحيحاً. ومن أهمها الإيجاب والقبول، أي التقاء إرادة الطرفين في إنجاز العقد، في وضوح واختيار وتراضي. وأن يكونا ممن تتوفر فيهما الأهلية للقيام بالعقد من العقل والسن، وكذلك أن تكون طبيعة العمل واضحة، وفيما يجوز التعاقد فيه. ٣) للمتعاقدين واجبات يجب أداؤها، سواء كان رب العمل أو أجيراً، أو أي طرف من أطراف العقد، فالواجب الذي يؤديه أي فرد هو في الحقيقة حق للطرف الثاني، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ) ^(٢) فلو فكر كل واحد في أداء ما عليه من واجبات لما هضمت الحقوق، ولسادت المحبة في علاقات الناس بدءاً من علاقات العمل. وهذا العامل من واجب الدعاة بيانه؛ وقاية لعلاقات الأعمال بين الناس أن تنحرف ويسود الظلم المنافي للمحبة. ويفقد المجتمع بذلك أهم عوامل تماسكه ونجاته.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٦١٤.

(٢) سورة النساء: ٢٩.

ثانيا: علاقة العمل الخارجية

(١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في علاقة العمل الخارجية

أصل الاعتدال للمحبة في علاقة العمل الخارجية حسن الظن وحسن المعاملة، وهما دليلان على المصادقية، وهما مطلبان في العلاقات العامة بين الناس، وتختلف هذه العلاقة بين الأشخاص من حيث مدى قوتها وطريقة تكوينها. ولقد فهم الإسلام عن الغرر وكل مايجلب الضرر على الفرد والمجتمع، فنهى عن بيع الرجل على بيع أخيه، وعن البيعتان في بيعة واحدة، وعن بيع الحاضر للباد، وعن تلقي الركبان، ومنع الغش والنجش، واشترط القبض في الموزون والمكيل للتصرف فيه (قال الخطابي : أجمع أهل العلم على أن الطعام لا يجوز بيعه قبل القبض)^(١) وكل ذلك حفظا لحقوق الإنسان في البيع والشراء التي تتعلق بها حياته الاجتماعية. وفي علاقات العمل الخارجية يجب أن تصبغ بالمصادقية وحسن الظن وحسن المعاملة للملازمة الحاجة الاقتصادية لها في كسب الجمهور، وحاجة العاملين للتعاون فيما بينهم خارج نطاق أو مقر العمل، ولا يمكن أن تتحقق الجدوى الاقتصادية بدون محبة تتكون عبر الزمن وتؤدي إلى كسب الثقة، ومن وسائلها حسن الظن وحسن المعاملة، ومن دور الدعاة إلى الله البيان لهذا الأثر في حياة العاملين، من خلال مواقف البيع والشراء والعرض والطلب، وبيان أن الربح والخسارة متلازمان في التجارة المادية وفي التجارة المعنوية، وأن الربح الأكبر من كسب رضوان الله في التجارتين، من ربح مالا فأفق في سبيل الله. ومن أحسن التعامل مع الناس بصدق، وحسن ظن، وأخلاق حسنة واكتسب حب الناس، والتحذير من استدراج الله للعبد بالنعم، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)»^(٢) ومن دور الدعاة التحذير من الخداع وصفات المنافقين التي تكسر جسر المحبة بإعراضهم عن الله وما أنزل على رسوله ﷺ وقيامهم بغش المسلمين في دينهم ودنياهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)^(٣). وقال الله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

(١) عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان، فاطمة صالح الجارد ، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية ، ط ١، ١٤٢٦هـ — ، ص: ٢٦٦

(٢) سورة الأنعام: ٤٤.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الشاميين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٧٣١١ (٥٤٧/٢٨).

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب علامة المنافق، حديث رقم: ٣٤ (١٦/١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب

بيان خصال المنافق، حديث رقم: ٢١٩ (٥٦/١).

وإِلَى الرُّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسِنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ^(١) وهذا هو حال المنافقين، ظاهرهم الإحسان والتوفيق، وباطنهم الإساءة والخلاف، قال ابن كثير في تفسيره: (هذا الضرب من الناس هم المنافقون، والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزئهم على ذلك، فإنه لا تخفى عليه خافية، فاكتم به يا محمد فيهم، فإن الله عالم بطواهرهم وبواطنهم؛ ولهذا قال له: (فَاعْرِضْ عَنْهُمْ) أي: لا تعنفهم على ما في قلوبهم (وَعِظْهُمْ) أي: وانهمهم على ما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر (وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم ^(٢). ولأهمية المحبة في العلاقات العامة التجارية وغيرها تم تحديد أقسام خاصة بها وأصبحت العلاقات العامة وظيفة هدفها ينحصر في بناء صورة محبة للجمهور عن المؤسسات والمنظمات والدوائر الحكومية والخاصة، وذلك عن طريق الأداء الممتاز والأخبار الصادقة، والمعلومات والبيانات الدقيقة الموثوقة، والاتصال الفعال المتبادل المزدوج بين المؤسسة أو المنظمة أو الحكومة، وجمهورها الداخلي والخارجي، ينتج عنه تفاهم متبادل مبني على الثقة والتعاون والتقبل والرضا، وصولاً إلى إيجاد حالة من التكيف والانسجام بين المؤسسة والمجتمع الذي تعيش فيه والعمل من أجل تحقيق الصالح العام للمجتمع. وقد جاء في تعريف جمعية العلاقات العامة الدولية بأن العلاقات العامة (هي وظيفة الإدارة المستمرة والمخططة والتي تسعى بها المؤسسات والمنظمات الخاصة والعامة لكسب تفاهم وتعاطف وتأييد الجماهير التي تهمها والحفاظ على استمرار هذا التفاهم والتعاطف والتأييد وذلك من خلال قياس اتجاهات الرأي العام لضمان توافقه قدر الإمكان مع سياستها وأنشطتها لتحقيق المزيد من التعاون الخلاق والأداء الفعال للمصالح المشتركة باستخدام الإعلام الشامل ^(٣).

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة العمل الخارجية

إن التنظيم الإداري والتدريب العملي والخبر الإعلامي، من أهم عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة العمل الخارجية، وتاريخياً فقد عملت به الحضارات السابقة، وأدى هذا المفهوم إلى تعزيز حضارتهم فقد عرفت الإدارة المصرية ^(٤) القديمة نظام الحوافز وطبقته، كما عثر على وثائق كانت تصدرها الحكومات الفرعونية لتضخيم الحكام والإعلام عن منجزاتهم أو لإطلاع العامة عليها، يقصد بها الترويج لحكمهم

(١) سورة النساء : ٦١ - ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ، ج ٢ ، ص: ٣٤٧.

(٣) الأسس العلمية للعلاقات العامة ، د. علي عجرة، مصر : عالم الكتب ، ط ٤ ، ١٩٩٩ م ، ص : ٢٣.

(٤) معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، الدكتور محمد أبو احاسن عضفور، بيروت : دار النهضة العربية ، ط ٢ ، ١٩٨١ م ، ص: ٥٨ .

وكسب التأييد لهم. وكانت الإدارة في الصين قديماً على مستوى عالٍ من التنظيم حيث تتسم بمجهاز حكومي يرأسه الحاكم يساعده تسعة مستشارين يشرفون على تسع إدارات تتولى تنفيذ خطة عامة مرسومة، ومن خلال هذه المناصب منصب خاص بالاتصالات الإدارية يتولاه مستشار للاتصالات الإدارية، يهدف إلى توطيد الثقة والمحبة بين الرؤساء والمرؤوسين من جهة وبين الإدارة والمواطنين من جهة أخرى. وعرفت الإدارة اليونانية بعض التطبيقات الإدارية كدورية الوظيفة كما عرفت أيضاً ما سمي بروح الخدمة العامة والتي تتمثل في التأكيد على إن المصلحة العامة تسمو على المصلحة الخاصة، وأجمعوا على أن حكم الطغاة هو من أسوأ أنظمة الحكم لأنه يعني القوة الغاشمة غير المشروعة وأن مثل هذا الحكم يظل بغياً ولو حسنت أهدافه وطابت نتائجه لما فيه من قضاء على حرية الإنسان وفكره واختياره، وفي بلاد الرافدين - العراق - كانوا يستعملون التثقيف للمزارعين وذلك بإصدار نشرات توجيهية وإرشادية تصدرها السلطة العامة، وهي تعد بمثابة وسيلة إعلامية من قبل الحكومة للشعب. أما الإدارة الإسلامية فهي مؤسسة أخلاقية إنسانية بالدرجة الأولى، دستورها القرآن الكريم والسنة النبوية. تنبع من الإسلام وتقوم على مبادئه التشريعية في كافة المجالات، ولا يغيب عن الذهن أن الحضارة الإسلامية منذ انبثاق دعوتها قد خطت خطوات سبقة في مجال العلاقات العامة والإعلام والتأثير والاتصال بمجتمعات الناس ودعت إلى استخدام أفضل الأساليب والوسائل الراقية لنشر الدعوة كما استخدم المسلمون الأوائل أسلوب الخطابة وأسلوب النشر والتأليف والترجمة والمراسلة وأسلوب الحملات التجارية والحربية إلى جانب الأساليب المنظمة عبر منابر المساجد للتوجيه والإرشاد ودور العلم والحكمة. وفي العصر الحاضر الذي تفرعت فيه أوجه الاقتصاد وأصبح يشكل عصب الحياة للأمم والشعوب، وأصبحت الضوابط فيه عالمية المبادئ والأصول، وجب على الحكام والعلماء والدعاة التعاون مع الخبراء في الاقتصاد لوضع خطة استراتيجية لفرض المبادئ الاقتصادية الإسلامية العادلة على الأنظمة الاقتصادية الجائرة التي ظلمت الفرد والمجتمع، وإن لم يكن ذلك فليكن العمل على خطة سحب الأموال الإسلامية وحصرها في تعامل اقتصادي يشمل النظام الإسلامي، يأخذ وضع الاستقلالية التدريجية عن أنظمة الاقتصاد الجائرة بما فيها من الربا وأكل أموال الناس بالباطل. وهذا المبدأ الشوري التعاوني يمثل الحل والسبيل الواقية لانحراف المحبة في علاقات العمل الخارجية، بترشيد العلاقات وإرشاد العاملين، بالمحافظة على ميزان الاعتدال فيه من الانحراف بإقامة المحبة بحسن الظن وحسن المعاملة والتناصح القائم على ستر العيوب الشخصية مع النصيحة، وتوزيع أدوار العمل العادل، قال الله تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ)^(١) وفي حق ملكة سبأ وعلاقتها مع نبوة سليمان عليه السلام ومملكته، قال الله تعالى: (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) ٣٨ وَإِنَّ

مُرْسَلَةً إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَتَاطَرَتْ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ^(١) حفاظا على العلاقات السلمية، وحنكة في الحكمة السياسية، أرسلت ملكة سبأ لسليمان عليه السلام الهدية، لما لها من أثر على النفس يوحى بالمحبة وعدم المعارضة، وعامل جذب في العلاقات، وعامل كشف للنيات، انطلق القرار بعد لقاء مجلس الشورى، الذي خرج بسداد الرأي. وفي العصر الحاضر أصبحت الهدية رمزا دائما للمحبة في العلاقات التجارية والسياسية والاجتماعية. وهي عامل مهم وفعال من عوامل الوقاية من انحراف المحبة في علاقة العمل الخارجية.

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

أولا: العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

(١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

التكاليف الشرعية هي أصل الاعتدال للمحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم من الطرفين، والعلاقة بين الراعي والرعية، هي درجات، بحسب نطاق التكاليف الشرعية، فنطاق المدرسة التعليمية أوسع من نطاق الأسرة، ونطاق الإمارة أو الوزارة أضيق من نطاق الولاية العظمى، وأخطر العلاقات فيها علاقة الولاية العظمى للدولة مع الشعب أو المجتمع المسلم، حيث تقوم عليها جميع مصالح الناس، في الحرب والسلم، وحين يؤدي كل طرف واجباته الشرعية تجاه الآخر، في صورة تبادلية من الأعلى إلى الأدنى ومن الأدنى للأعلى، يحصل العدل الذي به تستقر الحياة لجميع الأطراف، وتسود المحبة في المجتمع. ومن آثارها الوحدة الاجتماعية وبها يكون النصر، قال الله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ^(٢) قال القرطبي في تفسيره : (ومعنى هذا الابتلاء أنه اختبار لهم، فمن ظهرت طاعته في ترك الماء، علم أنه مطيع فيما عدا ذلك، ومن غلبته شهوته وعصى الأمر، فهو في العصيان في الشدائد أخرى، فروي أنهم أتوا النهر وقد ناهم عطش وهو في غاية العذوبة والحسن، فلذلك رخص للمطيعين في الغرقة ليرتفع عنهم أذى العطش بعض الارتفاع، وليكسروا

(١) سورة النمل: ٣٤ - ٣٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٨ - ٢٥١.

نزاع النفس في هذه الحال. وبين أن العُرفَة كافة ضرر العطش عند الحزمة الصابرين على شظف العيش الذين همهم في غير الرفاهية^(١)

فمن متطلبات التكليف الشرعية في علاقة الراعي والرعية، السمع والطاعة في المعروف، والعدل في الرعية بالسوية. وإقامة الحدود الشرعية، واتباع الكتاب والسنة فيها، عن حُصَيْن^(٢) بن المُنْذِر الرِّقَاشِيّ هُوَ أَبُو سَاسَانَ، قَالَ شَهِدْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَأُتِيَ بِالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ فَشَهِدَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ وَرَجُلٌ آخَرُ فَشَهِدَ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ رَأَاهُ شَرِبَهَا يَعْنِي الْخَمْرَ وَشَهِدَ الْآخَرُ أَنَّهُ رَأَاهُ يَتَقَيَّأُهَا فَقَالَ عُثْمَانُ إِنَّهُ لَمْ يَتَقَيَّأُهَا حَتَّى شَرِبَهَا فَقَالَ لِعَلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقِمْ عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْحَسَنِ أَقِمْ عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَقَالَ الْحَسَنُ وَلَّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ أَقِمْ عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَأَخَذَ السَّوْطَ فَجَلَدَهُ وَعَلِيٌّ يَعُدُّ، فَلَمَّا بَلَغَ أَرْبَعِينَ قَالَ حَسْبُكَ، جَلَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ، أَحْسَبُهُ قَالَ وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ وَعُمَرُ ثَمَانِينَ وَكُلُّ سَنَةٍ وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ^(٣).

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

إن العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم، شرعت للحفاظ على مقومات التماسك الاجتماعي وتحقيق المصالح العامة والخاصة، وأهمها تحقيق الوحدةانية لله والاجتماع عليها، بعبادة الله وحده لا شريك له، وميزان التماسك فيها هو المحبة المتبادلة بين الراعي والرعية، ومصدر الشرعية في هذه العلاقة قول الله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِيَعْتِيَةٍ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^(٤) قال الإمام الطبري: (القول في تأويل قوله تعالى: وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا. يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله^(٥) وعليه فإن كل الأسباب التي توصل إلى طاعة الله وأداء الحقوق لأهلها في العلاقات وأداء المسؤوليات، هي عوامل الوقاية من انحراف المحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم. وتأخذ هذه

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٣، ص: ٢٥١.

(٢) حُصَيْن بن المنذر بن الحارث بن وعلة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن ذهل بن شيبان أبو ساسان الرقاشي وأبو ساسان لقب كنيته أبو محمد، يروى عن عثمان وعلي والمهاجر بن قنفذ روى عنه الحسن وعبد الله الداناج، مات حُصَيْن سنة سبع وتسعين، وأمّه بنت بكر بن وائل. انظر: الثقات لابن حبان (١٩١/٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم- كتاب الحدود- باب حد الخمر، حديث رقم: ٤٥٥٤ (١٢٦/٥).

(٤) سورة آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٧، ص: ٧٠.

الحقوق طبيعة الأولويات في حق الحاكم وفي حق المحكوم ومن ذلك ففي حق الحاكم أول الأولويات السمع والطاعة في المعروف وبذل الجهد معه ضد من يريد صدع الأمر ونشر الفتن وشق عصا الطاعة من الداخل، و الدفاع عن حوزة الدين وحياض الإسلام أو الجهاد في سبيل نشره. وعندما انطلقت الفتنة في عهد عثمان اشتكى منها عثمان رضي الله عنه، عن أبي أمامة بن سهل، قال: « كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ وَكَانَ فِي الدَّارِ مَدْخَلٌ مِّنْ دَخَلِهِ سَمِعَ كَلَامَ مَنْ عَلَى الْبَلَاطِ، فَدَخَلَهُ عُثْمَانُ فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَهُوَ مُتَغَيِّرٌ لَوْنُهُ فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَتَوَاعَدُونَنِي بِالْقَتْلِ أَنْفَاءً قَالَ قُلْنَا: يَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَلِمَ يَقْتُلُونَنِي؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا يَأْخُذَ ثَلَاثٌ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلَامٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بغير نَفْسٍ. فَوَاللَّهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ قَطُّ وَلَا أَحْبَبْتُ أَنْ لِي بَدِينِي بَدَلًا مِّنْهُ هَدَانِي اللَّهُ، وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا فِيمَ يَقْتُلُونَنِي»^(١). كيف وعثمان رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام ومن المبشرين بالجنة، ومن أعدل الناس بعد الرسول ﷺ، وتستحي منه الملائكة؛ فنشبت الفتن، واشترأت رؤوسها، واشتكى منها المسلمون إلى العصر الحاضر حيث تفرق المسلمون وتعددت المشارب وتربص الأعداء. ومما يجب أن نعلمه من دروس التاريخ أن الظلم وهضم الحقوق، والحكم بالقهر والجبروت، والحكم بغير ما أنزل الله، والحكم بالذلة والقلّة والتجويع على المحكومين، أن ذلك من أسباب السقوط والزوال، ومن المؤثرات القوية في اضطراب الأمن والاستقرار؛ حيث نرعت المحبة وظهرت العداوة، وللوقاية في تكوين العلاقة بين الحاكم والمحكوم الحث على أداء حق المحكوم، والأولويات في هذا الحق: العيش الكريم من الغذاء والسكن والكساء. عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أحب الناس إلى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدّه عذاباً إمام جائر»^(٢). ومن أصل المحبة بين الحاكم والمحكوم الدعاء لبعضهم البعض، عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشَرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، وَتَبْغِضُونَهُمْ وَيَبْغِضُونَكُمْ، قُلْنَا: أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا. مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا وَمَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَأَاهُ يَأْتِي شَيْئًا مِّنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرِهْ مَا رَأَى مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِّنْ طَاعَةٍ)^(٣) ومن الأقوال المشهورة للإمام أحمد بن حنبل: (لو أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان)^(٤)، فإن الدعاء لولي الأمر له فوائد كثيرة إذا تتبعها منصف عاقل يضع الأمور في موازينها، منها :

(١) انظر سنن أبي داود - كتاب الدييات - باب الإمام يأمر بالعرفو في الدم حديث رقم: ٤٥٠٤ (٤/٢٩٠). صححه الألباني .

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم : ١١١٧٤ (١٧/٢٦٤). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند : إسناده ضعيف .

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الأمانة - باب خيار الأئمة وشرارهم، حديث رقم : ٤٩١٠ (٦/٢٤).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد، العلامة محمد بن صالح العثيمين، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ج ١، ص: ٤٧٨.

الفائدة الأولى : إن المسلم حين يدعو لولي أمره، فإنه يتعبد ربه بهذا الدعاء ، ذلك لأن سمعه و طاعته لولي الأمر، إنما كان بسبب أمر الله له و أمر رسوله ﷺ. وفي الدعاء تصديقاً لمبدأ السمع و الطاعة، وإقراراً به وتأكيداً له .

الفائدة الثانية : إن في الدعاء لولي الأمر إبراء للذمة، إذ الدعاء من النصيحة، والنصيحة واجبة على كل مسلم، عن أبي بكر المروذي، قال سمعت أبا عبد الله (أحمد بن حنبل) وذكر الخليفة المتوكل رحمه الله فقال: (إني لأدعو له بالصلاح والعافية وقال لأن حدث به حدث لنتظرن ما يحل بالإسلام)^(١) ومن مقتضى البيعة النصح لولي الأمر، ومن مقتضى النصح الدعاء له، ومن الخير الدعاء له بالتوفيق والهداية، وصلاح النية والعمل الصالح وسداد الرأي، والبطانة الصالحة والخير كله .

الفائدة الثالثة : إن الدعاء لولي الأمر من علامات أهل السنة و الجماعة، ومخالف لأهل البدعة، قال الإمام أبو محمد البرهاري رحمه الله : (وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان؛ فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح؛ فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، يقول فضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان. قيل له: يا أبا علي، فسر لنا هذا؟ قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدي، وإذا جعلتها في السلطان صلح؛ فصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين)^(٢).

الفائدة الرابعة : إن الدعاء لولي الأمر عائد نفعه الأكبر إلى الرعية أنفسهم، فإن ولي الأمر إذا صلح صلحت الرعية، و استقامت أحوالها، وهنئ عيشها، وطابت حياتها، قال ابن المنير رحمه الله : (نقل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم ، ف قيل له: أتدعو له وهو ظالم ؟ فقال : إي والله أدعو له، إن ما يدفع الله ببقائه، أعظم مما يندفع بزواله - قال ابن المنير - لا سيما إذا ضمن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده و توفيقه)^(٣).

(١) السنة ، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر، تحقيق : د. عطية الزهراني ، الرياض: دار الراية ، ط ١، ١٤١٠هـ — ج ١، ص: ٨٤.

(٢) شرح السنة ، الحسن بن علي بن خلف البرهاري أبو محمد، تحقيق : د. محمد سعيد سالم القحطاني ، الدمام : دار ابن القيم ، ط ١، ١٤٠٨هـ ، ج ١، ص: ٥١.

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التزليل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٤ ، ص: ٥٣٥. ومذيل بحاشية الإمام العلامة أحمد بن محمد ، المعروف بابن المنير، وتخريج أحاديث الكشف للإمام الزيلعي .

الفائدة الخامسة: إن ولي الأمر إذا بلغه أن الرعية تدعو له، فإنه يسر بذلك غاية السرور، ويدعوه ذلك إلى محبتهم و رفع المؤن ونحوها عنهم، و لا يزال يبحث عما فيه سعادتهم و ربما بادلهم الدعاء بالدعاء، وبذلك تعم المحبة والسعادة حياة الناس.

الفائدة السادسة : إشاعة الأمن والاستقرار في ديار الإسلام الحاكمة بشرع الله، وهذا أمر ظاهر، فالطاعة لأولي الأمر تعني سيطرة الشرع و العقل و القلب على كل التصرفات، وتعني التغلب على الهوى و النفس اللذين يجران إلى الخروج والجريمة و التمرد و العصيان ، وهذا كفيل في تحقيق الأمن و الاستقرار وطمأنينة في النفس و المجتمع وسائر البلاد. وإن من القواعد المقررة عند السلف رحمهم الله وأكرم مثواهم، زيادة الاعتناء بهذا الموضوع - السمع والطاعة والدعاء - كلما ازدادت حاجة الأمة إليه، سدا لباب الفتن، وإبصاءا لطريق الخروج على الولاة، الذي هو أصل فساد الدنيا والدين. وهذا البيان من دور الدعاة إلى الله الوقائي في تسديد علاقة الحاكم والمحكوم وإقامة المحبة بينهم؛ فيجب التأكيد عليه بما يدرأ الفرقة عن الأمة، ويمنع سلطة الأعداء عليها.

ثانيا: العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

(١) بيان أصل الاعتدال للمحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

أصل الاعتدال للمحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم هو الكرامة، أي حفظ الكرامة ميزان الاعتدال للمحبة، فمتى أحس الحاكم بالتقدير المستحق له أحب المحكوم، ورأف به ورحمه، ومتى أحس المحكوم بحسن المعاملة أحب الحاكم وقدره وأعظمه، وكانت النتيجة أن يعيش الجميع في محبة و وئام، وعلى النقيض فمتى شعر الحاكم بانتقاص المحكوم لمكانته، انصرف عن شؤون المحكوم إلى شؤون الخاصة، ومتى شعر المحكوم بالإهانة أبغض الحاكم وعمل على ما يرد كرامته وكانت النتيجة أن يعيش الجميع في كراهة وخصام، وهذا يتنافى مع أصول العلاقة الإنسانية المطلوبة بينهما، والواجبة بينهما، وعلى مستوى الولاية العظمى أمر الله تعالى بالعدل والحذر من الهوى، والأنبياء قدوة الأنام في عموم الحكم والأحكام، قال الله تعالى: (يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (١) قال القرطبي في تفسيره: (فدل هذا على بيان وجوب الحكم بالحق، وألا يميل إلى أحد الخصمين لقراءة أو رجاء نفع، أو سبب يقتضي الميل من صحبة أو صداقة، أو غيرهما) (٢) والحكم بالحق يعني العمل بما أنزل الله من حقوق، وفرض من واجبات، والحق فيها

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ١٥، ص: ١٨٩.

يتوافق مع كرامة الإنسان ويدعو إليها، من الرحمة به واللين له والعفو عنه والاستماع لرأيه والدعاء له، قال الله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) ^(١) ومجمع العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم لين القلب، والذي يقتضي البعد عن القسوة والفضاضة والغلظة حيث هي منافية للإنسانية والمحبة، ومعارضة لمقاصد الشريعة والحنيفية السمحة.

٢) عوامل الوقاية من انحراف المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

إن حفظ المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم واجب نزع بواعث الخوف والتخلي عن الأنانية الفردية، ويوجب زرع مسببات الاطمئنان والتحلي بالروح الجماعية، ومن دور الدعاة إلى الله التأكيد على هذا المعنى، وتفصيل الأدلة الشرعية الآمرة بحق الحاكم والمحكوم وضرب الأمثلة من الكتاب والسنة على صور التراحم بين الراعي والرعية، والتي تحفظ الكرامة وحق الإنسانية، ومن ذلك، ما قص الله علينا في قصص القرآن، فمثلا من سورة الكهف، بين الله تعالى مآل الفتية المؤمنات في مجتمع انعدمت فيه الإنسانية، حيث أُوِيَ إلى الكهف هربا من الرجم والقتل والكراهة على الكفر، قال الله تعالى: (وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ بِنُشْرٍ لَّكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئُ لَكُمْ مِّنْ أَمْرٍ مِّزْقًا) ^(٢) وقال الله تعالى: (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا) ^(٣) أورد صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن عن هذه الآية قوله: (ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ قَوْمَهُمُ الْكُفَّارَ الَّذِينَ فَرُّوا مِنْهُمْ بِدِينِهِمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْهِمْ، أَيْ يَطْلُعُوا عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُوا مَكَانَهُمْ، يَرْجُمُوهُمْ بِالْحِجَارَةِ، وَذَلِكَ مِنْ أَشْنَعِ أَنْوَاعِ الْقَتْلِ، وَقِيلَ: يَرْجُمُوهُمْ بِالشَّتْمِ وَالْقَذْفِ، أَوْ يُعِيدُوهُمْ فِي مِلَّتِهِمْ، أَيْ: يَرُدُّوهُمْ إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ) ^(٤) فعندما تنعدم الإنسانية ويتم مصادرة الحرية في العيش الكريم، يحارب الحق بالباطل، ويلجأ المحكوم إلى الهرب أو الانتقام أو المواجهة، وفي كل منه شر يفتت الوحدة، ويشير العداوة ويسبب الانشقاق، وكذلك الحاكم عندما تتم محاولة لزع سلطانه أو الطعن في شخصه، أو التأثير على مكانه، فإن ذلك يتنافى مع مقاصد الشريعة الإنسانية التي تدعو إلى إنزال الناس منازلهم، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الكهف: ١٦.

(٣) سورة الكهف: ٢٠.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥

المُسلِم وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»^(١). وإن بلادنا المملكة العربية السعودية ، ولله الحمد والمنة فقد تمثلت فيها معاني العلاقة النظامية والإنسانية بين الحاكم والمحكوم في أعلى مستويات الحكم ، حين يبرز القائد ، ويوصي الجميع على العمل بمنهج الشريعة الإسلامية وبث روح المحبة القائمة على العقيدة الإسلامية، فانتشر بها الأمن، وتحقق بها رغد العيش ، فمن كلمات خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود الشهيرة: (إن العقيدة الإسلامية هي عقيدة المحبة والأخوة والتسامح والرفعة والعزة، وباختصار فهي تشتمل على العديد من المحاسن، وعلى العديد من التنظيمات في الحياة الاجتماعية؛ حتى حياة الفرد في منزله أو في أموره الخاصة أو في نفسه، لم تترك العقيدة الإسلامية أمراً فيها إلا وأوضحت الفائدة له وبينت الضرر منه. إنها عقيدة المحبة والسلام، وفي نفس الوقت عقيدة القوة ، ولذلك عندما نقول إن واجب العقيدة الإسلامية علينا كبير، ولها ولعلماء الدين الإسلامي علينا واجبات كثيرة، وعليهم هم واجبات كثيرة أيضاً، فإنما نعني تبصير الأمة الإسلامية بما يجب أن يدركه المسلم ، إدراكاً كاملاً، ومن ثم فإن على علماء الدين الإسلامي أن يبينوا بشكل واضح محاسن الشريعة الإسلامية وأن يرغبوا فيها، لأنها عقيدة المحبة والإخاء، وأن يوضحوها توضيحاً كاملاً)^(٢)

(١) انظر سنن أبي داود- كتاب الأدب- باب في تزييل الناس منازلهم حديث رقم: ٤٨٤٥ (٤/٤١١). حسنه الألباني .

(٢) خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود. خطب وكلمات ، الرياض : دار الملك عبد العزيز ، رقم تسلسل الإصدار

١٣٦ ، ص: ١٣٦ .